

## «تحذير للعالم»

### الكلمة الافتتاحية

لمعالي الدكتور محمد مطلق الحديد  
رئيس اللجنة الدائمة للصليب الأحمر والهلال الأحمر  
المؤتمر الدولي الثلاثون  
جنيف، ٢٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٧

- معالي السيدة رئيسة الاتحاد السويسري،
- السيد رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر،
- السيد رئيس الاتحاد الدولي،
- السادة والسيدات قادة الجمعيات الوطنية،
- سمو الأميرة الملكية،
- السادة والسيدات،
- الضيوف والمراقبون الموقرون،
- الزملاء والأصدقاء الأعزاء،

يسرني بالغ السرور أن أرحب بكم باسم اللجنة الدائمة في هذا المؤتمر الدولي الثلاثين. ويسعدني أن أرى هذا الحشد الكبير من سيادتكم هنا. يكتسي هذا المؤتمر قيمة وأهمية خاصتين في الوقت الذي نشهد فيه كل هذه الآلام في عالم يسوده الاستقطاب والاضطراب. وأمام الموضوع «معا من أجل الإنسانية»، سيتمثل التحدي الذي يواجهنا في السعي إلى تعزيز تعاوننا وشراكاتنا بهدف تدعيم المثل الإنسانية العليا التي تطلّى بها هنري دونان، مؤسس الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر.

وإني لمقتنع، من خلال تجربتي ضمن هذه الحركة العظيمة، بأن أفعالنا تجسد أقوالنا. فنحن نمثل أكبر منظمة إنسانية في العالم ونحتل أفضل مكانة ونملك أفضل الإمكانيات لتقديم خبرة فعلية للجهات الشريكة والمتعاونة معنا. ويضمن ملايين الأعضاء والمتطوعين في جمعياتنا الوطنية، البالغ عددها ١٨٦ جمعية، امتلاكنا لمعلومات دقيقة تتوفر لنا في الوقت الملائم وتعكس الواقع الإنساني في الميدان ضمن المجتمعات المحلية. وهذه أفضل انطلاقة ممكنة لتأهب فعال يجب أن يستند إلى معرفة جيدة للواقع الفعلي في الميدان.

أما إذا أردنا أن يكون عملنا فعالاً ونحتفظ بوضعنا كشريك مفضل لحكوماتنا، فعلياً أن نتأكد من أن قدراتنا المحلية ملائمة وأننا نستطيع تلبية الاحتياجات. ويتعين علينا تقييم مواطن الضعف على نحو موثوق به، وتوقع المخاطر المستقبلية الناتجة عن تغير المناخ سواء أكانت اقتصادية أم اجتماعية أم بيئية. ومقارنة بما يوليه التحليل العلمي من اهتمام للأثار البيئية والاقتصادية التي يخلفها الاحترار العالمي، لا تزال مسألة استضعاف البشر مهملّة إلى حد كبير. وحين ننظر في إقامة شراكات جديدة للتصدي لهذه العواقب الإنسانية المحتملة، يتيح هذا المؤتمر فرصة ذهبية لتسليط الأضواء على هذه المسألة الحاسمة. فالشعار «معا من أجل الإنسانية» ليس مجرد شعار بل هو تحدٍ لا يستهان به بالنسبة إلينا جميعاً.

وحتى نتمكن من مواجهة ما هو ماثل أمامنا، يجب أن نكون على أهبة الاستعداد. ومن أجل القيام بمهمتنا في عالم متغيّر، لا شيء أهم من المزيد من الاستعداد، الذي يسمح لنا بالعمل بصورة فعالة وبدون تبديد الموارد النادرة. أما الحد من مخاطر الكوارث فهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتأهب لها. وتظهر تجارب الاتحاد، على مستوى المجتمعات المحلية، أن مجموعة من المبادرات مستخدمة أفضل الممارسات يتم تنفيذها وتعطي نتائج إيجابية.

من الأمور التي يعرفها البحارة ذوو الخبرة عندما يبحرون في مياه خطيرة وضحلة أن على المرء أن يبقى على الصاري الرئيسي للمركب لرصد

ما يحصل أمامه. وقد ثبت مرة بعد مرة أن دور الرقيب الذي نقوم به هو دور ذو أهمية حيوية. وبصفتها الحارس العالمي للإنسانية، وعلى علم بما ينتظرنا أمام ما يبنى به مستقبل الاتجاهات، تود الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر إطلاق تحذير للعالم. إننا نبحر، متوجهين قدما نحو مخاطر تهدد الناس الأكثر ضعفاً وأفقر الفقراء على نحو غير متناسب كما هي الحال غالباً.

ومن بين المخاطر التي نرى أنها تحدى بنا، يشكّل تغير المناخ أكثر العوامل خطورة. وينبغي لنا ألا نجادل حول القيمة النسبية لهذا التنبؤ العلمي أو ذلك، فلن نكسب شيئاً من المشاركة في لعبة إلقاء اللوم على هذا أو ذلك. وعلينا أن نركز على مجرد تلك الحقيقة القائلة إنّ التغير جارٍ وأنه سيؤدي إلى عواقب إنسانية لا محال.

إن الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر تركز فقط على ما يسببه تغير المناخ والاحترار العالمي من ضعف على الصعيد الإنساني. إنه المجال الذي نعرفه جيداً والذي يمكن لنا أن نقوم فيه بالكثير. فعلياً أن نضمن أنه ينظر إلى الضعف الإنساني بنفس الإلحاح والأهمية اللذين ينظر بهما إلى العواقب الأخرى المشار إليها في هذا الموضوع.

ويمكننا أن نستند إلى الوقائع التي لا سبيل لإنكارها ألا وهي: الزيادة في عدد الكوارث الطبيعية والزيادة في حجم هذه الكوارث، والمناطق الجغرافية الجديدة التي تشهد كوارث خطيرة وأشكال الكوارث الجديدة المتكررة. وتبقى هذه الوقائع مترابطة فيما بينها وذات صلة بالآثار المباشرة لتغير المناخ.

تلعب المياه دوراً مركزياً في هذه الكوارث وفي حين تشهد أجزاء من العالم هطول كميات كبيرة من الأمطار، تعاني أجزاء أخرى من الجفاف الحاد. وخلال عام ٢٠٠٧، شهدنا قوة المناخ الشديدة. فقد ظهرت أمطار الرياح الموسمية الآسيوية كقوة مدمرة وجرفت المحاصيل والتربة السطحية وتسببت في انجراف التربة وغمرت القرى والمدن وأطاحت بالبنية التحتية وخلفت وراءها موارد مياه ملوثة ومناظر مروعة من الدمار. وفي مرحلة معينة، كانت نصف بنغلاديش مغمورة بالمياه.

وقد حذرت أكاديمية العلوم الصينية من علامات تدل على جفاف منبع نهري «يانجتزي» والنهر الأصفر. فيما تختفي أنهر من الجليد في جبال الهمالايا، علماً أن مجاري المياه النابعة من سلسلة هذه الجبال تغذي حالياً أكثر من ثلث الجنس البشري.

إننا نعلم أن درجات الحرارة المرتفعة تزيد من تبخر مياه المحيطات والبحيرات والأنهر وكذلك التبخر المباشر من الأرض. وسيؤدي كل هذا التبخر إلى زيادة الأمطار في أجزاء كبيرة من العالم، في حين يسود الجفاف في أجزاء أخرى منه. وسوف يتغير توزيع هطول الأمطار. فعلى سبيل المثال، ستصبح القارة الأفريقية شمال خط الاستواء أكثر جفافاً حتى جنوب أوروبا. أما شمال أوروبا فسيشهد المزيد من الأمطار. لقد أعطيت توقعات مفصلة وموثوقة عن العديد من التغيرات التي ستحصل في أجزاء مختلفة في العالم. وهذه التغيرات معروفة ولا جدال حولها، ويجب أن نأخذها في الاعتبار في خططنا.

لن تكون التغيرات في التبخر وهطول الأمطار نعمة من السماء. فقد شهدنا حتى الآن زيادة في الفيضانات وانجرافات التربة والعواصف. وسوف نشهد تفاقم الجفاف في مناطق واسعة يرافقه تزايد لمخاطر اندلاع الحرائق الهائلة وموجات الحر الشديد. ومما لا شك فيه أننا سنشهد المزيد من الكوارث التي يتسبب فيها تغير أحوال الطقس وسوف يضرب العديد منها بلدانا اكتفت في السابق بلعب دور في مساعدة الأقل حظاً على التصدي لمثل هذه الكوارث في أنحاء العالم الأخرى. إن التواتر المتزايد للكوارث في مناطق جديدة على خريطتنا التقليدية للكوارث سوف يسلط الضوء على الحاجة إلى التأهب لهذه الكوارث بشكل أفضل وزيادة القدرات المحلية على مواجهتها.

وتبقى مواجهة الكوارث الزاحفة المعقدة هي مجال رئيسي لعمل الصليب الأحمر والهلال الأحمر.

سوف تصبح بعض المناطق التي تضم أكبر تجمعات من البشر غير قادرة على توفير سبل العيش لسكانها. وهكذا يبرز تناقص القدرات الزراعية في أرضنا الأم وتنامي عدد سكان العالم فيرسمان صورة قاتمة عما قد يشهده العالم من عدم المساواة وغياب التوازن والجوع والنزاعات. ويضطر الناس إلى مغادرة مناطق لم يعد بوسعها تحملهم. وسوف يقصدون المدن، شأنهم شأن الكثيرين ممن سبقوهم، حيث غالباً ما ينتهي بهم الأمر في الأحياء الفقيرة. وسوف يدفع أفقر الفقراء الثمن الأعلى من المعاناة البشرية.

لم تكن الأحياء الفقيرة في المدن من الأولويات المدرجة تقليدياً في جدول أعمال الصليب الأحمر والهلال الأحمر. إلا أن هذا الوضع يجب أن يتغير لأن الأحياء الفقيرة في المدن تتزايد بوتيرة أسرع من أي شكل آخر من التجمعات السكنية. وتتزايد مقايضة الفقراء في العالم لشقاء

المعاناة الريفية بيؤس الأحياء الفقيرة الحضرية، وغالباً ما تكون هذه الأخيرة أول المناطق المتضررة من الأوبئة والفيضانات وانجرافات التربة والعنف وتعاطي المخدرات أو من مجرد الغياب التام للخدمات العامة.

لماذا نرى الفقراء أول الذين يلقون حتفهم؟ لأنهم لا يملكون غالباً خياراً آخر سوى أن يعيشوا في أماكن غير آمنة حيث لا يتمتعون بالحماية من الظروف البيئية القاسية ويكونون فريسة الاكتظاظ والفقر. وهؤلاء الفقراء الذين لا صوت لهم لا يشكلون أولوية في جدول أعمال السياسيين والمخططين، مما يجعل المسألة التي يعيشونها غير ملحوظة.

وتؤدي عواقب هذه الظروف إلى مشاكل إنسانية يسعى الصليب الأحمر والهلال الأحمر إلى معالجتها.

أما نزوح السكان فيشكل اليوم قضية أساسية على جدول الأعمال العالمي. ويتنقل الناس للأسباب نفسها التي دفعتهم إلى التنقل عبر التاريخ أي هرباً من النزاعات أو الاضطهاد أو البطالة، أو سعياً لتوفير مستقبل أفضل لأنفسهم ولأولادهم. ولا تنطوي الهجرة على قصص محزنة أو قاتمة ففي أغلب الأحيان تحدث الهجرة وقعا إيجابيا على المجتمعات المضيفة، فهي تفيد المهاجرين أنفسهم وأسرههم في الوطن. غير أننا شهدنا أثاراً سلبية للهجرة تقلقنا نحن كحركة، عندما نشاهد على سبيل المثال عندما يقع الأطفال فريسة الاستغلال والجشع. ونأسف للغاية لمثل هذا الظاهرة عندما يعامل الأطفال كمجرد سلعة تجارية أو كقطع غيار بل يستغلون للدعارة.

وتتأثر الهجرة بآثار الشد والدفع على حد سواء. فقد أدى عدم المساواة في العالم إلى آثار الشد، مما دفع إلى هجرة الناس من البلدان النامية بحثاً عن العمل في المجتمعات الغنية، مجتمعات الخدمات التي تلت مرحلة التصنيع في نصف الكرة الشمالي. وتضيف العواقب الناجمة عن تغير المناخ إلى هذه المعادلة أثراً في الدفع لا يمكن مقاومته، وبهذا يرغب الناس على الهجرة لأنهم لا يستطيعون، بكل بساطة، الاستمرار في الحياة حيثما يوجدون.

مرة أخرى، تشمل العواقب الإنسانية للهجرة مشاكل تتصدي لها حركة الصليب الأحمر والهلال الأحمر من دون حكم مسبق أو تمييز. ثمة بعد آخر لهذه الظواهر يكمن في الصعوبات التي تواجهها حتى أكبر الاقتصاديات حجماً في العالم في عملية إعادة البناء بعد وقوع الكوارث الكبيرة. لقد استغرق إعصار كاترينا أقل من يوم ليلقي الفوضى والدمار على الناس والممتلكات والطبيعة، ولكن إعادة البناء ستستغرق سنوات طويلة. فبعد مرور عامين على إعصار كاترينا، لم يعد إليها إلا نصف سكان مدينة «نيو أورليانز» الذين كانوا قد غادروها. وإذا كان مثل هذا البلد الذي يتمتع بموارد وفيرة يواجه صعوبة في التكيف مع الأوضاع، فماذا يمكننا أن نتوقع من الدول التي تتمتع بموارد أقل؟

ستستغرق إعادة البناء سنوات طويلة بعد الحرائق الهائلة التي شهدتها اليونان مؤخراً أو تلك التي اندلعت في جنوب كاليفورنيا. يمكن لكارثة واحدة فقط أن تجعل التنمية في بلد برمته تتراجع سنوات إلى الوراء. يمكن إعادة تشييد المباني بسرعة، ولكن إعادة سبل عيش الناس أو تخطي المعاناة النفسية للذين عاشوا غضب الطبيعة يستغرقان وقتاً أطول. ينبغي لنا أن نعيد توجيه تفكيرنا من مجرد تعويض الأضرار إلى السعي إلى التخفيف من أسوأ آثار الكوارث والوقاية من الأضرار في المرتبة الأولى.

هذا ما تدافع عنه الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر.

نرى كذلك التوزيع الجغرافي العالمي للأمراض والصحة يتغير. فارتفاع درجات الحرارة يفسح المجال أمام انتشار بعض أنواع البكتيريا والفيروسات. ويوجد البعوض والملاريا المنتشرة وحمل الضنك أماكن جديدة للانتشار مع تزايد درجات الحرارة المتوسطة.

وتبدو هنا الخبرة التي اكتسبها الصليب الأحمر والهلال الأحمر في الوقاية من الأمراض ومكافحتها خبرة لا تقدر بثمن.

وبموازاة هذه التطورات الخارجية، تتزايد الاحتياجات الوطنية والمحلية لتدخل الصليب الأحمر والهلال الأحمر. وفي العديد من البلدان، سنجد في المستقبل دعوة إلى المزيد من المساهمات سواء أعلق ذلك بالوقت أم المال أم المتطوعين من جمعياتنا الوطنية. وقد يؤثر ذلك بدوره في العمل الدولي الذي تضطلع به حركة الصليب الأحمر والهلال الأحمر في جانبين على الأقل:

قد تؤدي أولاً الحاجة إلى المزيد من موارد الصليب الأحمر والهلال الأحمر لتلبية الاحتياجات الوطنية المتنامية إلى تقييد قدرة بعض الجمعيات الوطنية «المانحة» التقليدية على تمويل برامج ثنائية ومتعددة الأطراف مع شركائها من الجمعيات الوطنية والاتحاد واللجنة الدولية.

وإننا لا نزال ثمانية نشهد «عصرًا من العمل التطوعي» مع إمكانية الحصول بسهولة نسبية على الموارد لدعم الحالات الجديرة بالاهتمام. ونظراً

إلى توقع أسوأ السيناريوهات المحتملة في المستقبل، علينا أن نستعدّ لمواجهة إمكانية «تراجع» في تمويل العمل الإنساني. ويسلّط ذلك الضوء على الحاجة إلى الاستثمار بشكل أفضل في القدرات المحلية من جانبي الخط الفاصل بين الشمال والجنوب.

وهنا يقَدِّم الصليب الأحمر والهلال الأحمر إطاراً جاهزاً لمعالجة هذه المسألة.

وأخيراً وليس آخراً، نشعر بقلق متزايد لرؤية شبابنا يتحوّل إلى جيل يتزعزع بين النزاعات. وفي قلب هذه النزاعات القائمة اليوم، نرى عدم التسامح وكرهية الأجانب أو كلاهما. إنّ الناس الذين يرغبون في مواصلة تنفيذ برامجهم المتطرفة يزرعون الخوف والحقد في عقول الشباب، وتتأثّر عن ذلك نتائج مخيفة.

إنّ الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر هي الجهة الفاعلة العالمية والمحايدة التي تظهر تسامحاً واحتراماً إزاء الآخرين، وهو أمر متأصل فيها. لقد أثبتنا، مرة تلو المرة، من خلال ما قام به أعضاؤنا، أننا نحترم مبادئنا ونعمل بما يتماشى معها. وقد حان الوقت لنفكر كيف يمكننا أن نستفيد من هذه السمّة التي نملكها ونحوّلها إلى برامج وأنشطة أكثر فعالية، الأمر الذي قد يؤدي إلى شفاء من ضلوا الطريق وأصبح الحقد جزءاً من حياتهم.

أصحاب السعادة، سيداتي سادتي، أيها الأصدقاء

أي شيء يجدر عمله يستحق أن نفعله جيداً وأعتقد أنّ القاعدة الأساسية القيّمة وسجّل الحركة المدوّن سيظلان ذات أهمية بالغة في عملنا كشركاء عندما نتحرك «معاً من أجل الإنسانية».

سيطلب ذلك وقتاً وجهوداً مضيئة ومنسّقة، ولكنه سيأتي بثماره.

ووفقاً لقول أفريقي مأثور ، «إن أردت أن تمضي بسرعة فعليك أن تعمل لوحداً. أما إذا أردت أن تذهب بعيداً فعليك أن تتعاون مع الآخرين.»

ونحن نريد أن نذهب بعيداً من أجل مساعدة أشد الناس ضعفاً في هذا العالم.

وشكراً